مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة اسلامية . ثقافية . تصدر سنويا

العدد الثالث
1986

- صدى الأدب العربي في الدعوة الإسلامية
- مخطوطات ليبية
- وصول الإسلام إلى ساحل مليبار
- التيارات الفلسفية وعلاقتها بالصراع على الحكم

وَرَقَات
فِي الْبَحْثِ التُّرَاثِي وَمَصَادِرِه

إعداد عبدالحميد الهرامة

تقديم :

البحث التراثي لا يختلف عن غيره من البحوث العلمية في حاجته إلى المنهج العلمي السليم ، لكنه قد يختلف في طبيعة مصادره وفي أنواع المناهج المناسبة لمجالاته المختلفة . ومن هنا كان لزوم التركيز على المكتبة التراثية ومصادرها المختلفة ، وكانت ضرورة الوقوف عند أكثر المناهج العلمية اتفاقاً مع طبيعة البحث التراثي ، مع عدم إغفال التعريف السريع بماهية البحث العلمي ومناهجه ، والتفكير العلمي وأخطائه ، وخطوات البحث .

وكنت قد أمليت جزءاً من الورقات التالية حول هذه الموضوعات على طلاب كلية الدعوة الاسلامية لتغطي الجانب النظري من مادة قاعة البحث ، ورأيت أن تنشر على علاتها لتوضع بين يدي القارىء ، وتسد حاجة الطالب ، غير متجاهل ما فيها من ايجاز مخل حيناً ، وإجمال مستغلق أحياناً أخرى .

وعذري في ذلك أن الدروس المفسرة للجانب النظري تعوِّض النقص بما تتناوله من شروح وأمثلة ، بالاضافة إلى وقوف الطالب خلال دراسته العملية داخل المكتبة على أكثر ما يُغلَق عليه من محتويات هذه العجالة .

البحث العلمي :

هو جهد علمي منظم يُقصد به الكشف عن معلومات جديدة تسهم في تطوير المعارف الإنسانية وتوسيع آفاقها .

ويشتمل هذا التعريف على نقطتين مهمتين تحتاجان إلى مزيد من التوضيح والبيان ، أولاهما : أن التنظيم يعني السير في البحث وفق منهج أو مناهج علمية سليمة وبتحديد وتخطيط لموضوع البحث ، وتحليلٍ وتصنيفٍ لمحتوياته .

وثانيهما : أن الكشف عن الجديد في مضمار العلم لا يعني أن يكون اختراعاً من ابتكارات الباحث التي لم يَسْبِق لأحد أن تطرق إلى أيٍّ من جوانبها ، بل يمكن أن يكون العمل العلمي تنظيماً لمادة مبعثرة ، أو تصحيحاً لرأي خاطىء ، وربما كان مثلُ هذا الجهد أكثر جدوى من توافه المستحدثات .

ولعله من المناسب ونحن نتحدث عن البحث العلمي في مجال التراث أن نشيد بجهود علمائنا المسلمين في هذا المجال ، وأن نذكر لهم بالتقدير والاعتزاز تنبههم لأخطر قضاياه بصورة تجعل تراثهم محل إعجاب النقاد في كل عصر .

فهم قد اهتموا بأقسام التأليف التي لا يؤلف عالم عاقل إلاّ في أحدها ، وفي ذلك يقول ابن حزم « وهي إما شيءٌ لم يُسبق إليه يخترعه ، أو شيءٌ ناقص يتمه ، أو شيءٌ مستغلق يشرحه ، أو شىءٌ طويل يختصره دون أن يخل بشيءٍ من معانيه ، أو

شيءٌ متفرق يجمعه ، أو شيءٌ مختلط يرتبه أو شيءٌ أخطأ فيه مؤلفه يصلحه »[1] .

ويبدو من هذا التقسيم أنه جعل تفصيل المجمل وتعيين المبهم ضمن شرح المستغلق .

وشدد كثير من علمائنا على الأمانة العلمية ، واعتبروا أيَّ قول لا يُسند إلى قائله خالياً من البركة[2] بل جعلوا ذلك شرطاً في مؤلفاتهم كما يقول القرطبي « وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها ، والأحاديث إلى مصنفيها ؛ فإنه يقال : من بركة العلم أن يضاف إلى قائله »[3] .

وعرفوا الموضوعية واستخدموا وسائلها من قياس ، واستقصاء واعتبروا الاستقراء الناقص هو سبيلها الأمثل لأن « إثبات ما لا يدخل تحت الحصر بطريق النقل محال »[4] .

وجعلوا مقدمات كتبهم مخصصة لمقاصدهم من العمل وخطوات سيرهم فيه كما في هذا المثال : « وقبل الشروع في ايراد ما قصدت إليه . . . فلا بدّ من ذكر مقدّمة تُطْلِعُ على وجه العمل الذي اعتمدته ، وترشد إلى المسلك الذي فيه سلكته »[5] .

واتخذوا خطة وحدوداً لمؤلفاتهم لم يتجاوزوها غالباً ، وأسموها بالشروط تارة وبالحدود الجامعة المانعة تارة أخرى ، فإذا عنَّ لهم الاستطراد أو الاعتراض بأمر خارج عن مباحثهم نبّهوا إلى ذلك ، واعتذروا بما يفيد شعورهم بذلك الخروج ، وعملوا على تفسير الأسباب الداعية إليه ، كالتخفيف من سأم القارىء والارتباط بين مادة الاعتراض وما كان الكاتب بصدده . وكثيراً ما انتبهوا إلى مزالق الاستطراد قبل وقوعه كقول بعضهم « ولولا أن كلَّ معنى معترض يزيح سهمي عن ثغرة الغرض

---

(1) رسائل ابن حزم ، تحقيق احسان عباس جـ 2 ص 176 .
وانظر شبيها من هذا في المقدمة لابن خلدون ص 1026 .
وقواعد التحديث لمحمد جمال الدين القاسمي ط 1 ص 38 .
(2) قواعد التحديث ص 40 .
(3) الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله الأنصاري القرطبي 1 / 2 .
(4) لمع الأدلة لابن الأنباري ص 98 .
(5) الذيل والتكملة للمراكشي تحقيق محمد بن شريفة 1 / 6 .

المقصود في هذا الكتاب لأوردت في هذا الباب . . . الخ »[6] .

وبعد . . فلعل مناهج العرب والمسلمين في البحوث العلمية قد عولجت بعناية لا بأس بها من قِبَلِ بعض الأساتذة المتخصصين ، ولكن قيم وأسس العلماء المسلمين في مناهجهم العلمية ما تزال في حاجة إلى المزيد من الكشف والتوضيح ، ونورد فيما يلي بعض الجهود التي تولت دراسة هذا الجانب من حضارة المسلمين في مجال العلم والثقافة : ـ

1 ـ منهج البحث العلمي عند العرب ، لجلال محمد موسى : بيروت .

2 ـ مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، لروزنتال ، ترجمة أنيس فريحة : بيروت .

3 ـ مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، د. علي النشار : القاهرة .

4 ـ منهج البحث التاريخي عند المسلمين ، د. عثمان موافي : الاسكندرية .

ولئن استعنت ببعض المصادر في هذا المجال ، فقد كانت حاجة الطلاب ومشكلاتهم الدراسية هي التي أملت بعض الموضوعات وحجبت غيرها ، وفرضت التوسع في جوانب معينة والاختصار فيما سواها ، دونما رجوع إلى ترتيبها وأهميتها في المصادر المتخصصة .

ـ 1 ـ

منهجية البحث العلمي

لا تكفي هذه العجالة لتفاصيل المناهج العلمية ومباحثها المتنوعة ولذا فسنقتصر على ذكر أبرز المناهج المستخدمة في البحث التراثي ونحيل المستزيد إلى مراجع وافية تشبع حاجاته في هذا الخصوص .

فمن تلك المناهج : ـ المنهج الوثائقي الذي يعتمد على الوثائق والآثار باعتبارها مادة أولية يقوم البحث على أساسها ، وعلى الباحث فيها أن يعمل على التأكد من صحة الوثيقة وأن يحسن استخدامها .

(6) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1 / 15 .

والمنهج الاستقرائي الذي يقوم على دراسة عينات ظاهرة ما لا حصر لأفرادها، بشرط أن تكون هذه العينات كافية للحكم على عموم الظاهرة .

وهذا يعني أن المراد بالمنهج الاستقرائي هو الاستقراء الناقص ، وهو كذلك ؛ لأن الاستقراء التام أقرب إلى الاحصاء العددي المحض منه إلى البحث والتحليل ، ولكنه قد يكون عاملاً مساعداً أو برهاناً قاطعاً من البراهين الواردة في ثنايا البحث .

ومن مناهج البحث ما يعرف بالمنهج الوصفي والمنهج التجريبي والانثروبولوجي والاستنباطي ومنهج دراسة الحالة وغيرها .

وقد تناول هذه المناهج بالدرس والتحليل والأمثلة طائفة من الأساتذة والنقاد العرب والأجانب ، الذين سنحيل المستزيد فيما يلي إلى بعض أعمالهم العربية أو المعربة ذات الصلة بالتراث والثقافة العربية : ـ

(أ) مصادر عامة في مناهج البحث : ـ

ـ المنطق الحديث ومناهج البحث د . محمود قاسم ، دار المعارف : القاهرة .

ـ مناهج البحث العلمي د . عبدالرحمن بدوي : الكويت .

ـ مناهج البحث العلمي د . عبداللطيف محمد العبد ط مكتبة النهضة المصرية .

ـ مقدمة في المنهج د . عائشة عبدالرحمن ، معهد الدراسات العربية : القاهرة .

ـ تقييد العلم للخطيب البغدادي ، تحقيق د . يوسف العش .

ـ أصول البحث العلمي ومناهجه ، د . أحمد بدر ، الكويت .

ـ أسس المنطق والمنهج العلمي د . محمد فتحي الشنيطي : بيروت .

ـ منهج البحوث العلمية ، ثريا ملحس : بيروت .

(ب) مصادر خاصة : ـ

منهج البحث في العلوم الاسلامية د . محمد دسوقي ، دار الأوزاعي : بيروت .

ـ البحث الأدبي ، طرقه ومناهجه . د . شوقي ضيف ، دار المعارف : القاهرة .

ـ منهج البحث الأدبي د . علي عبدالجواد الطاهر ط ، بيروت .

ـ مناهج الدراسة الأدبية ، د . شكري الفيصل ، بيروت .

ـ مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، دار الثقافة : الدار البيضاء .

ـ منهج البحث التاريخي د . حسن عثمان ط دار المعارف : القاهرة .

ـ مناهج البحث الاجتماعي ، عمر التومي الشيباني ، طرابلس .

ـ المنطق ومناهج البحث العلمي في العلوم الطبيعية . د . علي عبدالمعطي محمد : الاسكندرية .

ـ منهج البحث الفلسفي ، محمد زيدان .

ـ المنهج العلمي وروح النقد ميشال آلار . بيروت .

ـ المنهج العلمي في دراسة المجتمع ، حامد عمار ، معهد الدراسات العربية العالية : القاهرة .

ـ عقم المنهج التاريخي ، كارل بوبر ، ترجمة عبدالحميد صبرة الاسكندرية .

المكتبة والمصادر

ميدان الباحث هو مكتبته وتجاربه ، وبقدر معرفته لميدان عمله يمكنه أن ييسر على نفسه من العقبات ، ويوفر لها من الوقت .

ومن أوليات التعامل مع المكتبة أن يتعرف الباحث على نظام تصنيفها وطرق الوصول إلى مصادره من خلال نظام الفهرسة المتبع فيها .

وبرغم أهمية هذا الجانب فإن العاملين في المكتبة قد ييسرون للباحث مثل هذه الخدمات ويعرفونه عليها ، ولكن يبقى بعد ذلك جانب لا يمكنه أن يوكله إلى غيره ، أو أن يتجاهل قيمة معرفته الشخصية به ، وذلك هو كيفية التعرف على المفاتيح الخاصة بالمواد المتعلقة ببحثه .

فما هي المفاتيح التي تدلنا على أعلام لا نعرف غير أسماءِ شهرتهم ؟ وكيف نصل إلى معلومات حول كتب مخطوطة أو مطبوعة لا نملك عنها سوى عناوينها ؟ وهل باستطاعتنا أن نتعرف بسهولة على موقع آية في الكتاب الكريم . ؟ . وكيف نخرِّج حديثاً لا نعرف غير نصه أو بعض نصه ؟ وما هي وسائلنا لمعرفة قائل بيت من الشعر أو مصدر أحد الأمثال أو المصطلحات ؟ وكيف يسعنا أن نطلع على إحدى المعارف العامة من أقرب الطرق وأيسرها ؟

هذا ما لا يمكن للباحث أن يوكله إلى غيره لأنه يقع في الصميم من عمله العلمي ، وهو ما تحاول الصفحات التالية أن تضعه أمام القارىء في عرض مكثف ومختصر :

2 ـ مفاتيح الاعلام : ـ

تكتض المكتبة العربية بكتب التراجم العامة والخاصة ، ومن النوع الأول ما يغطي فترة زمنية طويلة مثل وفيات الأعيان لابن خلكان وتكملاته[7] ، وكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي . ومنها ما يتناول قرناً واحداً من الزمن مثل الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة والضوء اللامع لأهل القرن التاسع وغيرها .

أما النوع الثاني فيختص بتراجم فئة معينة من الناس مثل : « الإصابة في معرفة الصحابة»، و «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» و «طبقات المفسرين» للسيوطي ، و « لسان الميزان » للذهبي في رجال الحديث و « طبقات الصوفية » للسلمي ، و « معجم الأدباء » لياقوت الحموي ، و « طبقات الشعراء » لابن سلام ، و « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » للسيوطي ، و « طبقات الأطباء والحكماء » لابن جلجل ، و « معجم المؤلفين » لمحمد رضا كحالة ، وغيرها وهي كثيرة بصورة تبدو معها هذه الأمثلة إشارات مخلة بمحتويات المكتبة العربية في هذا السبيل .

ويحسن بالباحث المبتدىء أن يتعرف على مصدرين مهمين من كتب التراجم الحديثة هما كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي ، ومعجم المؤلفين لمحمد رضا كحالة ، فكلا الرجلين قد بذل جهداً كبيراً في تعريفنا بأعلام العرب وأمدنا بطائفة من المصادر والمراجع حول كل علم يتم التعريف به .

---

(7) تكملاته هي : الوافي بالوفيات للصفدي وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي .

على أن الجدير بالملاحظة أن كحالة يقتصر في تعريفه بمن له نتاج فكري أو أدبي في حين يعمد الزركلي إلى التعريف بالمشاهير من الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين .

وبينما يحيل الزركلي إلى أعلامه عن طريق إثبات اللقب والاسم أو اسم الشهرة في موقعه من الترتيب الهجائي نجد كحالة يخصص الجزأين الرابع عشر والخامس عشر من كتابة للإحالات بحسب الجزء والصفحة .

ويهتم الرجلان باثبات التاريخين الهجري والميلادي في مستهل كل ترجمة ويعطيان نبذة عن اسم العلم وحياته وآثاره .

2 ـ معاجم البلدان : ـ

في المكتبة العربية كتب تتحدث عن البلدان والقبائل والمواضع ، مثل معجم البلدان لياقوت الحموي ، والروض المعطار في خبر الأقطار للحميري ، ومعجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع للبكري ومختلف القبائل ومؤتلفها للبغدادي وغيرها . ويمكن للباحث أن يفيد في معرفة البلدان من كتب المسالك والممالك ومن الأطالس الحديثة ودوائر المعارف بالاضافة إلى المصادر الجغرافية الدقيقة .

3 ـ فهارس الكتب والدوريات : ـ

أُلفت في هذا الشأن كتب كثيرة في القديم والحديث نذكر منها « الفهرست » للنديم وفهرسة ابن خير و « كشف الظنون » لحاجي خليفة ، و « تاريخ الأدب العربي » لكارل بروكلمان ، و « مفتاح السعادة » لطاشكبري زاده ، و « ايضاح المكنون » لاسماعيل البغدادي ، وهو ذيل على كشف الظنون ، و « الذريعة إلى تصانيف الشيعة » لآغابرزك ، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ، وفهارس المخطوطات بمختلف المكتبات الخطية في العالم[8] وفهرس المطبوعات العربية والمعربة لعواد كوركيس ، وكتاب مع المكتبة العربية لعبدالرحمن عطبة ، والببليوغرافيا الخاصة بكل قطر عربي ، والدليل الببليوغرافي للمراجع العربية لسعد الهجرس .

---

(8) من أهم مراجع فهارس المخطوطات : فهرس فهارس المخطوطات العربية في العالم لهويسمان ، نشر عام 1967 ، وفهرس المخطوطات العربية في العالم لكوركيس عواد الذي نشر أخيراً بمعهد المخطوطات العربية في جزأين . وانظر (أهم مراكز المخطوطات في العالم) بمجلة الناشر العربي ومراجع هذا البحث في العدد الثاني ص 80 وما بعدها .

فإذا أردت البحث عن كتاب أو بحث يدخل في نطاق دائرة اختصاص هذه الكتب فإنك واجد بغيتك في حدود منهجها والفترة الزمنية التي تتناولها ، وهو ما يتضح بعد قراءة مقدماتها ومعرفة مفاتيح البحث في موادها .

وأبرز فهارس الدوريات : دليل الدوريات العربية الجارية الذي أعده محمد المهدي وأصدرته الشعبة القومية لليونيسكو بمصر سنة 1965 م ، والفهرس الاسلامي لبيرسون (Index Islamicus) وهو يحتوي على ما نشر في الدوريات الأجنبية من بحوث تتعلق بالعربية والاسلام والوطن العربي منذ سنة 1905 حتى الثمانيات من هذا القرن ، وفهارس مجلات المكتبة الرئيسية لجامعة القاهرة الذي يتضمن المجلات المصرية والأجنبية حتى عام 1966 م ، وأخيراً الكشاف التحليلي للصحف والمجلات العربية .

4 ـ كتب الأنساب : ـ

اهتم قدماء العرب بهذه المعارف لأنها ميدان من ميادين مفاخرتهم ، واعتنى بها العلماء بعد الاسلام لأغراض تاريخية وتوثيقية ، ولذا فقد أُلفت فيها كتب كثيرة منها « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ، و « جمهرة أنساب العرب » للكلبي ، و « الأنساب » للسمعاني ، و « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » للقلقشندي .

ومن هذا النوع ما يختص بفئة معينة مثل « معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي » للمستشرق زامباور ، و « نسب قريش » للزبيري .

5 ـ دوائر المعارف : ـ

هي مؤلفات موسوعية تتناول شتى معارف الانسان وعلومه ، وتختلف باختلاف مستويات كتابها ومراكز اهتماماتهم ومنهجية مباحثهم . وقد كان ترتيب هذه الموسوعات قديماً يعتمد على التسلسل التاريخي أو التقسيم بحسب الموضوعات والفنون ، أما الدوائر الحالية فتعتمد الترتيب الهجائي المألوف في تنظيم موادها ، وهو ما جعلها أيسر استعمالاً وأعم فائدة .

وأهم دوائر المعارف التي تتصل بالتراث العربي دائرة المعارف الاسلامية التي أصدرتها جماعة من المستشرقين ونشرت في اللغات الألمانية والفرنسية والانجليزية معتمدة الترتيب الهجائي دون تجريد الكلمة من الزوائد . وقد طبعت هذه الموسوعة في طبعتين ، تُرجمت بعض أجزاء الأولى إلى اللغة العربية وتوقفت الترجمة عند المجلد

التاسع ـ فيما أعلم ـ وبدأ ظهور الثانية عام 1960 م وهي ملتزمة بالمنهج السابق من حيث الترتيب الهجائي غير المجرد وتذييل المادة بطائفة من المصادر والمراجع مع بعض الاضافات أو التغييرات في المادة العلمية .

ومن دوائر المعارف العربية المتصلة بالتراث دائرة معارف البستاني ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي التي تعيد الكلمة إلى أصلها الثلاثي وتتناول موضوعات ذات علاقة بالثقافة الاسلامية والعربية بصفة خاصة والانسانية بصفة عامة .

وبرغم هذه الجهود لا زالت الحاجة ملحة إلى إصدار دائرة للمعارف الاسلامية والعربية تُكتب بروح مخلصة لهذا التراث وبموضوعية علمية متجردة ، ولعل هذا ما تسعى إليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالشروع في التخطيط لهذين العملين العظيمين .

6 ـ معاجم اللغة : ـ

إذا كان مطلوب الباحث هو تفسير كلمة تعذر عليه الوصول إلى معناها الدقيق فإن أمامه مكتبة القواميس اللغوية القديمة والحديثة بمختلف أحجامها وأهدافها ، يقدِّم له بعضها مطلوبه في كلمات مقتضبة ، ويقدم له بعضها الآخر تفاصيل مطولة عن اشتقاقات الكلمة واستعمالاتها .

ويعدُّ القرن الرابع الهجري عصر تبلور الفكرة المعجمية عند العرب بالرغم من وجود محاولات سابقة لا تدخل في نطاق عرضنا الموجز هذا[9] . ففي القرن المذكور نجد معجم الجمهرة لابن دريد وديوان الأدب للفارابي ، والبارع للقالي ، وتهذيب اللغة للأزهري ، والمحيط للصاحب بن عباد ، والمجمل لابن فارس ، والصحاح للجوهري ، وهو أشهر معاجم هذا القرن ويمتاز عنها بميزات كثيرة تجعله من المعاجم الموصي باستعمالها ، وقد اختار منه الرازي معجماً صغيراً ليفي بحاجة المبتدئين . سار في ترتيبه على الحروف الهجائية المعروفة مع مراعاة أن يكون الحرف الأخير باباً والأول فصلاً .

وفي القرن الخامس نجد « معجم الموعب » للتياني وكتاب « العباب » للرضى

(9) مثل كتاب العين للخليل بن أحمد وكتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت والغريب المصنف لأبي عبيدة .

الصنعاني ، بيد أن أهم معاجم هذا القرن هو « المحكم » لابن سيده الذي وضعه على أساس الترتيب المخرجي مثل معجم العين .

أما في القرن السابع فقد كُتب أوفى المعاجم العربية وأشهرها المسمى « بلسان العرب » لأبي الفضل محمد بن منظور . وكتابه كما يقول بنفسه لم يخرج عما في تهذيب اللغة للأزهري والمحكم لابن سيده ولكنه جمع مادتهما ورتبهما على نسق ترتيب الصحاح في الأبواب والفصول وجرد الكلمة من الزوائد وعُني بضبط الألفاظ أو وزنها ونسب الشعر إلى قائليه ، واهتم بقواعد النحو والصرف ، ولذا كان هذا المعجم في مقدمة المعاجم العربية في الثقة والتوسع .

وفي القرن الثامن نجد معجماً يجمع بين استيعاب الألفاظ وصغر الحجم ، مما جعله أكثر المعاجم استعمالاً ، ذلكم هو « القاموس المحيط » للفيروز بادي الذي رتبه هجائياً بعد تجريد المادة من الزوائد ، وجعل الحرف الأول فصلاً والأخير باباً . وتُذكر له عنايته بذكر الاعلام عند نهاية معظم مواده بحسب اقتضاء المقام .

وقد لقي القاموس عناية كبرى من الدارسين إشادة أو تجريحاً ، وقامت جهود مخلصة لشرحه وترتيبه أو اختصاره منها ترتيب الطاهر الزاوي لهذا المعجم واختصاره له ، الأمر الذي أعطاه حياة أخرى بين مختلف مستويات المثقفين . ولا يفوتنا أن نشير إلى « تاج العروس » للزبيدي المتوفى سنة « 1205 هـ » فقد شرح فيه صاحبه القاموس المحيط والتزم ترتيبه ومنهجيته مع استهلاله بمقدمة لغوية ممتازة .

وفي القرن الثامن نفسه كُتب معجم ميسر للمبتدئين هو « المصباح المنير » للفيومي الذي رتبه ترتيباً هجائياً مألوفاً ، وأوسع فيه من تصاريف الكلمة مما جعله مفيداً للطالب .

أما في عصرنا الحاضر فقد عني مجمع اللغة العربية بالقاهرة باخراج المعجم الوسيط وألف لويس معلوف معجم المنجد في اللغة والاعلام وبطرس بولس « محيط المحيط » وسعيد الخوري « أقرب الموارد » .

وإلى جانب معاجم الألفاظ هذه نجد في المكتبة العربية معاجم المعاني ومن أشهرها « الألفاظ الكتابية » للهمذاني ، و « الألفاظ » لقدامة بن جعفر ، ومبادىء اللغة للإسكافي ، وفقه اللغة للثعالبي والمخصص لابن سيده ، والأشباه والنظائر

للأنباري ، ويعتبر المخصص أوفى هذه المعاجم وأفضلها جميعاً ، وقد طبع في سبعة عشر جزءاً .

7 ـ المعاجم الخاصة : ـ

ويقصد بها تلك المعاجم الخاصة بباب واحد من أبواب المعرفة مثل المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقي ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لجماعة من المستشرقين ، ويندرج في هذا النوع من المعاجم المصطلحات العلمية المختلفة[10] ، ونشير في هذا الصدد إلى مصدر تراثي عام يتناول مصطلحات كثيرة هو « كشاف اصطلاحات الفنون » لمحمد أعلى التهانوي أحد رجال القرن الثاني عشر الهجري . ويلي هذا المصدر أهمية كتاب «مفاتيح العلوم » للخوارزمي و« التعريفات » للجرجاني وهما أسبق من كتاب التهانوي تاريخاً وأقل منه شأناً .

ولعله من المفيد أن ينال بعض المعاجم الخاصة وقفة تعريفٍ موجزة تسمح للقارىء بتصور منهجها وكيفية البحث فيها : ـ

(أ) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ـ

نشره سنة 1945 محمد فؤاد عبدالباقي في مجلد واحد ، وهدفه تمكين الباحث من الوصول إلى موضع أيّ آية من القرآن الكريم بالكشف عن أي كلمة من كلماتها بعد تجريدها من الزوائد ثم ترتيبها هجائياً . وعند تمام الكشف نجد نص الآية أو بعضها مع رقمها واسم السورة وترتيبها في المصحف . ومن المعاجم القرآنية « معجم الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد اسماعيل ابراهيم ط (1968) ومعجم ألفاظ القرآن الكريم الذي أشرف عليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة » .

(ب) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي :

ألفه جماعة من المستشرقين سنة 1936 م وطبع في سبع مجلدات ضخمة تشتمل

---

(10) راجع المعجمات العربية المتخصصة ، وهي ببليوغرافية مشروحة من اعداد وجدي رزق علي ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر القاهرة 1971 م .

على إشارات إلى الأحاديث الواردة في تسعة من كتب الحديث هي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجة والدارمي ومسند أحمد بن حنبل وموطأ مالك ، ورمزوا لها بالرموز التالية : ـ خ : البخاري ـ م : مسلم ـ ت : الترمذي ـ ن : النسائي ـ د : أبو داود ـ جه : ابن ماجه ـ دي : الدارمي ـ حم : أحمد بن حنبل ـ ط : الموطأ .

وقد قسموا هذه الكتب إلى أربعة نظم بحسب طبيعة تأليفها : ـ

(أ) النظام الأول يتكون من ستة كتب وينقسم إلى كتب وأبواب وهي : الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، ابن ماجه ، الدارمي ، والبخاري .

مثال : (ت أدب 15) أي : سنن الترمذي ، كتاب الأدب ، الباب الخامس عشر .

النظام الثاني : كتب وأحاديث مسلسلة الترقيم وعلى هذا النظام نجد صحيح مسلم فقط .

مثال : ـ (م فضائل الصحابة 165) أي صحح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة الحديث رقم 165 .

النظام الثالث : ـ موضوعات وأحاديث مسلسلة . وهو نظام التأليف في موطأ مالك بن أنس .

مثال : ـ (طَ حج 227) أي : موطأ مالك مبحث الحج الحديث رقم 227 .

النظام الرابع : ـ أجزاء وصفحات . وهو الذي يسير عليه مسند أحمد بن حنبل .

مثال : ـ (حم 4 / 175) أي مسند أحمد بن حنبل الجزء الرابع ص 175 .

ويتم الوصول إلى معلومات عن أي حديث في المعجم المفهرس بتجريد أي كلمة من الزوائد ، ثم كشف موقعها في المعجم المرتب ترتيباً هجائياً .

(حـ) معاجم المصطلحات الأدبية والعلمية : ـ

1 ـ معجم البلاغة العربية لبدوي طبانة ، يقع في مجلدين وهو أحد منشورات

جامعة طرابلس سنة 1977 م . ويتضمن بايجاز وتركيز مصطلحات البلاغة العربية مع اشارات إلى اختلاف التعريفات بين علماء البلاغة .

قُسِّم هـذا المعجم إلى أبواب مـرتبة حسب تـرتيب حروف الهجـاء ، ورتبت المصطلحات في داخل الأبواب ترتيباً هجائياً أيضـاً بعد تجـريد الكلمـة من الزوائـد وردها إلى أصلها اللغوي .

2 ـ المعجم الأدبي لجبور عبد النور .

نشرت الطبعـة الأولى من هذا المعجم سنـة 1979 م ، وقد قسمـه مؤلفه إلى قسمـين ، ساق في الأول مـا اختاره من المصطلحات الأدبيـة والمذاهب والمـدارس والتيارات الأدبية ، ورتب ذلك ترتيباً هجائياً ، وألقى في القسم الثاني نظرة خاطفـة على مجموعة من الآداب العالمية .

3 ـ معجم المصـطلحات العـربية في اللغـة والأدب ، لمجدي وهبـه وكـامـل المهندس .

نشر بمكتبة لبنان سنة 1979 م مراعياً الاقتصار على المصطلحات العربية للغات والآداب الغربية التي يهتم بها الباحث العربي .

4 ـ « معجم الأدب » للدكتور مجدي وهبة .

هذا المعجم هو الأصل الذي اعتمـد عليه مؤلفـا المعجم السابق ، وقـد تميز معجمهما بالافاضة في التعرض للمصطلحات المتعلقة باللغة العربية وآدابها .

5 ـ المصطلح في الأدب الغربي لناصر الحافي .

نشر سنة 1968 وهو كما يفهم من عنوانه خاص بالمصطلحات السائرة في الأدب الغربي .

6 ـ الموسوعات المتخصصة : ـ

وهي أشبه ما تكون بدائـرة المعارف المتخصصـة بحقل من حقـول المعرفـة ، وتدخل ضمن المعاجم لاعتمادها على حروف الهجاءِ في ترتيب موادها .

فمن هذه الموسـوعات المتصلة بـالتراث الاسـلامي فيما يتعلق بنـظم تشريعـه

وأحكامه الفقهية موسوعة الفقه الاسلامي المعروفة « بموسوعة جمال عبدالناصر للفقه الاسلامي » ، وهي على قدر كبير من الأهمية بالرغم من عدم تجاوزها لحرف الهمزة حتى الآن .

ومن هذه الموسوعات : ـ القاموس الاسلامي لأحمد عطية الله الذي صدر منه خمسة أجزاء حتى كتابة هذه الأوراق ، وهو يشتمل على ما يتعلق بالاسلام من مصطلحات وأعلام ومعالم وغيرها . ويؤخذ عليه الايجاز وعدم ايراد المصادر والمراجع لإفادة المستزيد وتوثيق المعلومات .

7 ـ معجم مصطلحات الصوفية ، للدكتور عبدالمنعم الحنفي ، والمعجم الصوفي للدكتورة سعاد الحكيم وقد نشر سنة 1981 م .

8 ـ المعجم الفلسفي الذي وضعه مجمع اللغة العربية سنة 1979 ، وفي السنة نفسها أخرج جميل صليبة معجماً فلسفياً آخر في مجلد واحد .

9 ـ القاموس الفقهي ، لسعدي أبو جيب المنشور عن دار الفكر بدمشق ، ومن هذا القبيل معجم الفقه الحنبلي الذي أشرفت عليه وزارة الأوقاف الكويتية سنة 1973 م .

10 ـ معجم النحو لعبد الغني الدقر ط 1975 م .

ولا زالت المطابع تدفع بالاعداد المتوالية من هذه المعاجم التي وردت هنا بعض الأمثلة عليها ، وهي تختلف في مستويات تأليفها وسعة مادتها ومنهجية عرضها .

8 ـ كتب الأمثال : ـ

الأمثال العربية جانب مهم من جوانب النثر العربي ، وقد لقيت عناية من العلماء والرواة ، فألف المفضل بن محمد الضبي « أمثال العرب » الذي طبع لأول مرة سنة 1300 هـ ثم طبع مرات تالية كان آخرها ـ فيما أعلم ـ طبعة دار الرائد العربي سنة 1981 م . وألف أحمد الميداني « مجمع الأمثال » الذي طبع في مجلدين طبعات كثيرة . ومن هذه المؤلفات . أمثال أبي عكرمة الضبي الذي نشر في دمشق بتحقيق رمضان عبد التواب سنة 1974 ، و « الأمثال العربية » لرودلف زلهايم الذي صدر في بيروت سنة 1971 م . و « الأمثال في النثر العربي » لعبد المجيد عابدين ط سنة 1956 م . و « جمهرة الأمثال » للعسكري الذي نشر سنة 1964 م و « الوسيط في الأمثال »

للواحدي الذي نشر في الكويت سنة 1975 م .

فهارس الأشعار : ـ

لعله من الطموحات غير البعيدة أن يصدر الباحثون الذين يؤمنون بأعمال الفريق العلمي فهرساً عاماً لأشعار العرب ليدل القارىء على قائل أيٍّ بيت من الشعر العربي ، ولكن ذلك غير متوفر الآن ولا بد والحالة هذه من التفكير في فهارس أخرى تعين الباحث على الوصول إلى بغيته في هذا الصدد .

والفهارس المتيسرة الآن هي مظانٌّ وليست مجامع لكل أشعار العرب ، وهي إلى ذلك لا تعطي فوائد لغير الباحث الخبير بخصائص الشعر العربي المدرك بحسِّه النقدي لطبيعة اتجاهاته في كل عصر .

فإذا كانت هذه القرائن تشير إلى أنه جاهلي فإن أمامه الفهارس التالية : ـ

1 ـ فهارس قوافي « المفضليات » ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون (طبع دار المعارف) .

2 ـ فهرس قوافي « الأصمعيات » للمحققين السابقين (طبع دار المعارف) .

3 ـ فهارس جمهرة أشعار العرب .

وإذا لم يتبين الباحث خصائص الشعر فأمامه فهارس قوافي كتاب الأغاني ؛ إذ لكثرة ما فيه من الشعر يعدُّ موسوعة مستفيضة لا يمكن إغفالها ، وبالأخص بعد ما أولاه المحققون المتأخرون من عناية بفهارس القوافي .

وقد يدرك الباحث بحسه أو من خلال خلفيته الدراسية أن البيت شاهد نحوي ؛ وعليه في هذه الحالة أن يعود إلى « معجم شواهد العربية » لعبد السلام هارون لاشتماله على تلك الشواهد وعنايته بإسنادها .

وإن ظن أنه شعر اندلسي من خلال معرفته بخصائص ذلك الشعر أو لغير ذلك من الأسباب عاد إلى فهرس القوافي الذي أعده د . احسان عباس في تحقيقه لنفح الطيب (طبعة دار صادر) وقد أفرد فيه فهارس للموشحات والأزجال أيضاً .

ولنذكر أخيراً أن الخصائص المميزة لبعض الشعراء تجعل ظنون الناقد الفطن لا

تخطىء في نسبة الأشعار إليهم ، فحكمة المتنبي ، وحجازيات الشريف الرضى ، وغزل المجنون ، وخمريات أبي نواس ، ذوات طوابع مميزة لا يحير الناقد المشار إليه في نسبتها إلى قائلها ، ولكن التوثيق العلمي لا يسلم بغير الدليل الملموس ، ومن هنا يمكن للباحث أن يستعين بحدسه في الوصول إلى إسم الشاعر أو الشعراء المظنون بهم قول ذلك الشعر ، وعليه أن يتتبع فهارس القوافي في دواوينهم التي غالباً ما تحتوي على مثل تلك الفهارس .

- 2 -

التفكير العلمي والبرهنة المنطقية

قد يكون البحث سليماً في لغته ، أنيقاً في أُسلوبه ، ولكنه محشو بأفكار مضطربة وبراهين معيبة أو ضعيفة ، وعند ذلك يصبح البحث مجرد جلبة صوتية خالية من القيمة الحقيقية للبحث العلمي .

إن للتفكير العلمي معايير يقاس بها صواب البحث العلمي من خطله وتوفيقه من عدمه أهمها ما يلي : ـ

1 ـ مدى اتباع المنهج العلمي الصحيح الذي يدل على أن كاتبه ذو عقل منظم بعيد في كتابته عن العشوائيةوالتخبط(11) .

2 ـ مدى اتباع الدقة في استعمال اللغة ؛ إذ لا مكان في منطق البحث العلمي للكلمات الضبابية والعبارات العامة والمصطلحات الغامضة وغيرها من الكلمات التي يصعب تحديد معناها الدقيق .

3 ـ الموضوعية : ـ نعني بها هنا أن يتجرد الكاتب من الذاتية ويلتزم الحياد تجاه الموضوع المدروس ، فالباحث القدير هو ذلك الذي يملك عقلاً ناقداً لا يخضع للمسلمات والآراء السابقة دون اختبارها ، ولا يضيق بنقد الآخرين أو يخفي الآراء المناقضة لآرائه ، وأن يتحصن بالأمانة العلمية في الأخذ أو الإشارة إلى مصادره ومراجعه .

---

(11) انظر التفكير العلمي للدكتور فؤاد زكريا ص 31 ضمن سلسلة عالم المعرفة رقم 3 .

وجاء في كتاب الأصول أن المقصود بالموضوعية « أنْ يكون التفكير مرتبطاً بسلوك الظاهرة الخاضعة للملاحظة ، بحيث تصبح طبيعة موضوع الدراسة هي الفيصل في الحكم على الظواهر دون اعتماد على ميول الذات الباحثة ولا عواطفها وآرائها الشخصية ومعتقداتها »[12] .

4 ـ المنطقية : ـ ويقصد بها أن يكون السير في البحث وفق خطوات متسلسلة منطقياً يقبلها كل ذي عقل سليم ، وأن تكون البرهنة سليمة وكافية لإثبات مسائل البحث وقضاياه ؛ فالمنطقية ضرورية في عملية الاستدلال وفي تقسيم البحث وسلامته من الخلل والاضطراب .

أخطاء التفكير

تتسرب إلى كتاباتنا أخطاءٌ ناتجة عن هفوات في طريقة البرهنة عن أفكارنا فتقلل من شأنها وتحط من قيمتها في التأثير على المتلقي وفي التعبير عن مقاصدنا الحقيقية .

ونجمل فيما يلي بعضاً من هذه الأخطاء التي ينبغي أن يتجنبها الكاتب حتى يخرج عمله في نسق فكري سليم : ـ

1 ـ التعميم : ـ

وهو ـ في نظري ـ أكثر أخطاء الفكر شيوعاً بين الناس في مؤلفاتهم أو مخاطباتهم اليومية ، وكثيراً ما ينتج التعميم عن تشابه الظواهر أو تكرارها بالقدر الذي يجعل المرء يحكم باطراد هذه الظاهرة أو تعميمها . فالقول بأن كل الناس يحبون شيئاً ما مهما كانت أهميته أو قربه من قلب المتحدث يُعد من الادعاءات التي لا تسلم من الاستثنائية الكفيلة بنقض هذا الحكم .

ومن الألفاظ التي ينبغي في هذا الصدد أن نتعامل معها بحذر شديد في لغتنا العربية ألفاظ مثل : جميع ، وكل ، وكافة ، ومطلقاً ، ودائماً ، وبعامة . . . الخ .

وربما كان الحكم المتضمن لهذه الألفاظ صائباً أو قريباً من الصواب مثل القول بأن كل أفراد هذه العينة يتصفون بكذا . ولكنه يظل ادعاء في موضع الشك حتى

---

(12) الأصول ، تمام حسان ، ط 1 ص 14 .

يقدِّمَ الباحث الأدلة التي تقنع المتلقي بصحة ما ذهب إليه .

2 ـ التهوين : ـ

يشترك هذا العيب مع سابقه في أنه لا يضع الأمور في حجمها الصحيح ، فحين يُدخل الكاتب بالتعميم أموراً ربما كانت خارجة عن الموضوع ، قد يتغاضى بالتهوين عن جوانب يجب ألاَّ يغفلها وهو يصدر أحكامه . إنه يتعامل سطحياً مع مشكلة تحتاج إلى التحليل وإنعام النظر قبل الوصول إلى استنتاج صحيح ، كأن تقول مثلاً ليس علينا لنضمن محو الأمية إلاَّ أن نضاعف من علاوة التدريس .

3 ـ موافقة الهوى : ـ

هو عيب خطير ينبغي تفاديه في قضايا البحث العلمي ؛ إذ يجمع تحته طائفة من المعوقات الهدامة لأي تفكير سليم لعلّ من أبرزها التعصب الأعمى والانحياز إلى رأي دون التفكير والتمعن في بنائه المنطقي ، والذاتية وهي الميل إلى تحقيق فروض يتمنى المرء لو توصل إليها من خلال بحثه ، وقد يعمد في سبيل ذلك إلى الاكتفاء بالأدلة الضعيفة والقاصرة ويتجاهل غيرها من الأدلة القوية والواضحة .

وأبرز مخاطر هذا العيب افتقاره للموضوعية وهي أساس البحث العلمي وأوضح ملامح تعريفه .

4 ـ الخضوع للآراء السائدة : ـ

قد تكون الآراء السائدة قضايا قابلة للنقاش فلا يصح اعتبارها ضمن المسلمات ولا يجوز للباحث أن يضعها موضع التسليم والاتفاق ، بل إن المسلمات ذاتها لا تنتزع هذه الصفة حتى تكون أدلّة ثبوتها واضحة لكل ذي بصيرة ومنطق ، قابلة للتحقيق والضبط .

ويدخل في هذا النوع من عُيوب التفكير الخضوع لكل ما اعتمد على شهرة أو قِدَمٍ من الآراء أو الأشخاص . غير أن هذا التحذير لا يعني نسف تلك الآراء أو التنكّر للسابقين بقصد الانتصار للجديد مهما كانت طبيعته ، بل يعني عرضها على ميزان النقد والتمحيص حتى يتبين وجه الصواب أو الخطأ فيها بالدليل المقنع .

ويستتبع هذا التحذير تنبيه إلى خطورة المخالفة للآراء السائِدَة من أجل

(13) التفكير العلمي ، فؤاد زكريا ، ص 87 ـ 88 .

الشهرة ، وهو ما يقوم به ضعاف التفكير ومحبو الظهور السائرون مع المثل القائل « خالف تُعرف » .

5 ـ المقارنة الخاطئة : ـ

المقارنة بين طرفين تستدعي تشابهاً في خصائصهما يكفي لعقد تلك المقارنة ، ومن الخطأ أن نعقد مقارنة بين أمرين مختلفين في الصفات والظروف لمجرد وجود علاقات واهية لا تساندها الحقائق العلمية .

6 ـ سوء البرهنة : ـ

يمكن أن يَدخل في هذا العيب معظم أخطاء التفكير غير أن أقربها إليه هو انقطاع الصلة بين الدليل والموضوع وسوق الأسباب الخاطئة والبراهين غير الكافية أو غير المناسبة . وما إلى ذلك من العيوب ذات الصلة باستخدام البرهان .

7 ـ اللَّف والدوران : ـ

البحث العلمي يستدعي وضوح الفكرة في الذهن ، والتدرج في بسطها للمتلقي تدرجاً منطقياً يقصد مباشرة إلى خطوة جديدة في كل جملة من جمل الموضوع .

أما سرد المقدمات الانشائية الجوفاء أو تكرار المعاني السابقة بأساليب مختلفة فهو عيب ثقيل يقع فيه الضعفاء والذين لم تختمر في أذهانهم صورة الموضوع الذي يعالجونه .

ويكثر ذلك في أجوبة الطلاب ذوي الاستعداد المحدود لاجتياز الامتحانات أو لكتابة الأبحاث . . .

وهذا فيما يلي مثال حي من جواب أحدهم في امتحان مادة الأدب الأندلسي :

« الشاعر يوسف الرمادي هو من أفضل شعراء الأندلس الذين عاشوا في قرطبة وقد عاش أيامه في قرطبة فكان من أفضل الشعراء فيها . . . » .

فهو كما ترى أعاد وصف الرمادي بالشاعر في ثلاثة مواضع ، وحياته بقرطبة في موضعين ، وكونه أفضل الشعراء ـ وهو محل نظر ـ في جملتين . فأساء بذلك إلى أسلوبه بعيب يمكن أن نطلق عليه مصطلح « اللف والدوران » .

خطوات البحث

بعد هذه الاطلالة السريعة على منهجية البحث التراثي ومصادره ومحاذير البرهنة على أفكاره تجدر الاشارة إلى خطوات البحث وعرضها بالصورة المختصرة التي عرضت بها سائر موضوعات هذه الورقات : ـ

1 ـ فالخطوة الأولى هي اختيار البحث : ـ

قد يوكل أمر اختيار البحث في المراحل الأولى من الدراسة الجامعية وما دونها إلى أستاذ المادة ، ولا يكون على الطالب في هذه الحالة سوى اعداد ورقة بحث محددة الموضوع ، تتناول ملخصاً لما كتبه مؤلفون سابقون في مجال البحث ، وربما زُود الطالب ببعض كتبهم قبل الشروع في عمله .

على أن أمر الاختيار سيوكل للطالب فيما بعد هذه المرحلة ، حتى يكون الموضوع إبناً طبيعياً له وليس ابنه بالتبني . والاختيار على هذا النحو يتطلب سعة اطلاع على المجال الذي يرمي الباحث إلى دراسته حتى يستخلص منه موضوعاً معيناً يشعر بالميل نحوه والحاجة إلى دراسته ، ويراعى في اختياره أن يكون متناسباً مع قدرات الباحث وامكاناته ، وأن تكون له أهداف علمية واضحة .

2 ـ الخطوة الثانية ، تحديد الموضوع : ـ

اختيار الموضوع مرتبط بنقطة مهمة جداً هي تحديده زمانياً أو مكانياً أو موضوعياً ، ذلك أن التحديد يجعله محصوراً في نطاق ضيق يمكن الإلمام به ، ويكفل للباحث تحقيق النجاح المطلوب في الوصول إلى نتائجه بأيسر السبل وأسرع الأوقات ، حين يقود عدم التحديد إلى متاهات مجهولة بعيدة عن النهج الصحيح في ميادين البحث العلمي .

3 ـ تجميع المصادر والمراجع : ـ

المصادر هي المواد الأصيلة ذات العلاقة المباشرة بموضوع البحث ، أما المراجع فهي تلك الدراسات التي ترتبط به ارتباطاً معيناً (نقداً أو تفسيراً أو مقارنة) معتمدة في تناوله على المصادر الأصيلة .

وإذا كانت المصادر تقع في المرتبة الأولى من حيث الأهمية فإن المراجع تقع في درجة من الأهمية لا يستهان بها لأنها تسهم دون شك في توسيع مدارك الباحث ومجال

الدراسة بما تزوده به من نظرات وما تسفر عنه من نتائج أو قضايا للنقاش .

وتُسجل المصادر والمراجع التي تدخل في نطاق البحث على قائمة أولية ، لا يهمل فيها الباحث تلك الكتب والدراسات التي تمت أجزاءٌ منها إلى البحث بسبب ؛ فعسى أن تكون للإشارات الصغيرة أهمية قصوى في توجيه الدراسة وتوثيق نتائجها .

وتختلف مفاتيح المصادر والمراجع باختلاف موضوع الدراسة ؛ إذ تشتمل المكتبة العربية على عدد وافر منها ، كما رأينا في فقرة المكتبة والمصادر بهذه الأوراق .

وربما جعلت تلك الفقرة أمر الحصول على معلومات ، أو مصادرَ عن علم أو بلد شيئاً ميسوراً لكل الباحثين ، لكنها لم توضح بصورة كافية مفاتيح مصادر الموضوعات الفكرية والأدبية . .

نعم إن فهارس الكتب قديمها وحديثها وفهارس الدوريات ودور النشر ودوائر المعارف قد تعين الباحث في تجميع المصادر والمراجع حول موضوعه ، وقد سبقت الاشارة إليها في مواضعها من هذه الأوراق ، لكن الذي لم يُذكَر هناك على أهميته هو الاطلاع الواسع على الكتب المتخصصة في مجال البحث المطلوب ، حيث يجد القارىء المثابر أنّ مصادره تتزايد مع كل خطوة يخطوها في سعيه إلى الالمام بموضوعه ، ويرى أن من سبقه قد استعان بمصادر ومراجع كثيرة يمكن أن يضمها إلى مصادر بحثه ، وسيكتشف مع الأيام طبيعة المصادر الأصيلة والثانوية ، والعميقة والسطحية ، والوثيقة والأقل ثقة .

4 ـ القراءة وأخذ الملاحظات : ـ

إن مهارة الباحث في استخدام نوع القراءة المناسب لما بين يديه من المؤلفات أمر ضروري جداً ، لما فيه من اختصار للوقت وتوفير للجهد ؛ إذ يتطلب منه اطلاعه على عدد كبير من المصادر والمراجع أن يقلب آلاف الصفحات ، وعليه أن يكون قادراً على التمييز بين المواطن التي يسرع فيها أو يبطىء ، وبين ما يحتاج إلى التحليل والنقد ، وما يحتاج إلى التسجيل نصاً أو إشارة ، وما تكفي في مراجعته نظرة إلى فهرس الموضوعات تقنعه بقراءة شاملة أو جزئية أو تدفعه إلى الاستغناء عن ذلك أو تأجيله .

ويقترح بعض الكتاب تسجيل الملاحظات في بطاقات صغيرة ليسهل ترتيبها

بحسب موادها ، على أن يُكتب في طرف كل بطاقة اسم الكتاب ومعلومات نشره .

ويرى غيرهم كتابة الملاحظات في ملف حامل للأوراق ، ويرون أن ذلك أجمع للملاحظات وأحفظ لها من الضياع .

5 ـ تخطيط البحث : ـ

عند بداية هذه الخطوة يكون الباحث قد اطلع على قدر كبير من المصادر والمراجع ، فدوّن الكثير من الملاحظات واستوعب في ذهنه أفكاراً أخرى لم ير ضرورة لتسجيلها ، وبهذه الملاحظات وتلك الأفكار يمكنه تخطيط بحثه الجديد .

وعليه في هذه المرحلة أن يعيد قراءة ما كتبه من ملاحظات قراءة تحليليةً « مبيناً أوجه القوة والضعف وأوجه الاعتدال والانحراف . . . وغيرها من الأفكار المتصلة بالموضوع »[14] . ثم يُصنف تلك الملاحظات والاقتباسات في أقسام أو فصول متمايزة ولكنها مرتبطة منطقياً وفق منهج علمي سليم ، بل إن ذلك مما يجب مراعاته في ترتيب أفكار الفصل الواحد أيضاً .

6 ـ الصياغة الأولى : ـ

الآن وقد جُمعت المادة العلمية وقسمت إلى فصول متمايزة ، ورُتبت الأفكار داخل الفصل الواحد ، فليس على الباحث إلاَّ أن ينظم هذه الأفكار في سلك من نسج ألفاظه ، ويمنحها من أسلوبه الخاص ما يكسبها صفة الإبداع والذاتية ، ففي هذه المرحلة يُتوقع من الكاتب أن يرسم لنفسه شخصية متميزة قادرة على الربط والتحليل وحسن الافادة من الوثائق المتوفرة .

ويراعى عند الاستعانة بآراء الآخرين ضرورة عزو الفكرة إلى أصحابها ، ويتمثل ذلك في صورتين .

أولهما : أن تصاغ الفكرة بأسلوب الباحث ، على أن يشير في الحاشية إلى المصدر مسبوقاً بكلمة أنظر .

وثانيهما : أن يقتبس الفكرة وأسلوب الكاتب معاً ، وعليه في هذه الحالة أن يشير إلى المصدر مباشرة ، مع ضرورة الانتباه إلى أن الاقتباس الملتحم بالبحث مقيد

---

(14) أحمد بدر « أصول البحث العلمي ومناهجه » ص 23 .

بمقطع محدّد لا يزيد عن ستة أسطر موضوعة بين علامتي التنصيص ، فإذا زاد النقل الحرفي عن ذلك كتبه بخط أصغر ، وهوامش جانبية أكبر من هوامش البحث[15] .

7 ـ المراجعة : ـ

ويراد منها تصحيح وتنقيح الصياغة ، وملاحظة ترتيب الأفكار الجزئية ، وإحكام الربط بينها في المواضع التي تحتاج إلى ذلك ، ويمكن في هذه المراجعة أن يُضاف أو يُحذف ما يستدعي الاضافة أو الحذف .

8 ـ إعداد النسخة النهائية : ـ

هذه الخطوة النهائية من رحلة إعداد البحث ، ويقصد بها تبييض المادة العلمية بعد تنقيحها ومراجعتها ، وإلحاق فهارسها بالأرقام الصحيحة لمواضع الصفحات ، وترتيب قائمة المصادر والمراجع المستخدمة في البحث ، مع مراعاة تدوين معلومات النشر كاملة .

وبعد فهذه نظرات عجلي على موضوعات كبرى في ميدان البحث العلمي ومصادره ، يستحق كل منها مبحثاً خاصاً به لتفصيل جوانبه وإغنائه بالأمثلة والبراهين . غير أن الحاجة دعت إلى مثل هذه الورقات الشاملة وإن كانت مختصرة لتجمع أبرز ملامح تلك الموضوعات مع الاجتزاء بأقل الأمثلة .

فقد تناولت هذه الورقات تعريف البحث العلمي وجهود العلماء المسلمين فيه ، ومنهجيته مع نظرة على محتويات المكتبة العربية من المفاتيح ، ولمحة عن التفكير العلمي والبرهنة المنطقية ، وفصل أخير عن خطوات البحث . . .

---

(15) أنظر كيف تكتب بحثاً أو رسالة ص 100 منهج البحث في العلوم الاسلامية ص 127 . Preparing The Research Paper: p.10 وفيه أن الاقتباس المسموح به ليكون جزءاً من البحث ويقع بين علامتي التنصيص لا يزيد عن خمسة أسطر .